تسمعني ... انك لا تعرف الى اي مدى يخافون ، حينما انفخ في « الشبابة » ... حينما يتحول هواء الرئتين ... الى صوت ... الى موسيقى ... وسوف ننتصر عليهم لا بالرصاص وحده ... ولكن بالموسيقى ... لا بد وان نمضي الان ...

ولم يسأل « أبو شنار » ، الى اين سوف يمضي مع « أبو علي » ، ــ راعي الغنم ــ كان يثق به ، ثقته بالاعشاب التي تنمو فوق قمم الجبال ... ، ثقته بالزبد والجبن ، الذي يخرج من حليب « الماعز » ...

●●

وجنبا الى جنب مع راعي الغنم « أبو علي » ، مضى باجس أبو عطوان ، « أبو شنار » ... ، مضى يتبع صوتين : صوت البندقية وصوت الشبابة ... ولم يكن يدري ... ان شجرة ما ، ستعطيه غصنا ، ومن هذا الغصن ، سوف يصنع « شبابة » ... وسوف ينفخ ... وكلما ازداد عدد الثقوب في « الشبابة » ، كلما كان « الصفير » ، اكثر ارتفاعا ... وكلما كان الصوت ــ ايضا ــ ... اكثر ارتفاعا ... هو الاخر ...

ــ حينما تكون معزولا ... محاصرا ... مطاردا ... لا تستطيع ان توقد نارا ... ودمك يكاد يتثلج ... فلا بد وان تفعل شيئا ما ... ولكن يجب ان تعرف ان الموسيقى التي تخرج الشعابين من اوكارها ... يمكن ان تخرج ايضا ... « الاسرائيليين » من « كيبوتساتهم » ... والافعى ترقص على صوت الشبابة على صوت الموسيقى ... ولكن الاسرائيلي ، يطلق الرصاص ... اتبعني الان ...

اتبع أبو شنار « أبو علي » ... تبع راعي الغنم الذي يحمل الكلاشينكوف بيد ، ويحمل « الشبابة » ، باليد الاخرى ... وقاده الكلاشينكوف وقادته « الشبابة » ... الى مجموعة ... « علي ابو مليحة » ،

وهكذا انخرط ، باجس أبو عطوان ، في « سلك الجبل » ... ، واصبح مقاتلا جبليا ، في مجموعة « علي أبو مليحة » ،

ــ مات البطل ...

ــ عاش الجبل ...

وسقط « علي ابو مليحة » ... سقط « ملك الجبل » ... وكان لا بد ان يخلفه ابنه ... ولكن الجبل ليس شجرة نسب لعائلة ...

مثل كوريولانس ... القائد الروماني القديم ... كان على المرشح ، الذي سوف يخلف « علي أبو مليحة » ، في قيادة المجموعة ، ان يخلع قميصه ... ويكشف عن جراحه ....

ورفض « أبو شنار » ، ان يخلع القميص ، ويكشف عن جراح صدره ... ورفض ايضا ، ان يدفن ، « علي أبو مليحة » ، بشكل سري ، كان يعرف الفلاحين جيدا ، ومن اجل هذا قال :

ــ المقاومة سرية ، فلا بد ان يكون الموت علنيا ... لا بد وان يعرف الفلاحون ... اننا نموت من اجلهم ... يجب ان يعرف مكان القبر الفلسطيني ... انني ارفض سرية الموت ... لا بد وان تكون ... كل العلنية للموت الفلسطيني ... ما دام القتال الفلسطيني ، والحياة الفلسطينية ، هو قتال وحياة سرية ...